قاعـــدة: "من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه"

نماذج تطبيقية من القرآن الكريم

د. لولوة عبد الله أحمد بخيت

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد – جامعة أم القرى

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحليم الكريم، الغفور الرحيم، الشكور العليم، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد النبي الأمي الذي تحقق فيه قول ربه تعالى: **"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"** [الأنعام:١٦٢،١٦٣]، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذي بذلوا النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل الله ونصرة دينه وإعلاء كلمته، وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد جرت سنة الله تعالى أن يجازي العبد من جنس عمله، واقتضت رحمته التي سبقت غضبه أن يعفو ويصفح، وأن يعطي عبده فوق ما يستحق تكرما منه ومنة وفضلا، وهو الغني الكريم.

ومن أسماء الله تعالى "**الشكور**" و"**الشاكر**": وهو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيما في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال: إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضا يقال: إنه شكر، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله عز وجل؛ لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، فإن نعيم الجنة لا آخر له، والله سبحانه وتعالى يقول: **"كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ"** [الحاقة:٢٤]، وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره، والرب عز و جل إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه؛ لأن أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أعطى فأثنى شكورا، فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق بأن يكون شكورا، وثناء الله تعالى على عباده كقوله: **"وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ"** [الأحزاب:٣٥]، وكقوله تعالى: **"نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"** [ص:٣٠]، وما يجري مجراه فكل ذلك عطية منه(١).

وقال السعدي: "ومن أسمائه تعالى **الشاكر الشكور**، وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزئ الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنة للغزالي ص١٠٦،١٠٥.

أوجب الحق على نفسه كرماً منه وجوداً، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم واخلصوها لله تعالى.

فإذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته أعانه على ذلك، وأثنى عليه، ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفوراً، لم تنقصه هذه الأمور. ومن شكره لعبده، **أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه،** ومن تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن عامله ربح عليه أضعافاً مضاعفة"[٢].

والله تعالى **شكور** يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، وناء بالتكاليف الثقال، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه[٣]

ولقد تنوعت نصوص الشرع في هذا المعنى العظيم الذي يعد من أدعى الأسباب لمخالفة الهوى، ولزوم التقوى؛ والإيمان بالله إذ فيه نظر إيثار للآجل على العاجل: **"فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"** [الزلزلة:٧، ٨]، فحري بالعاقل أن يتبصر في الأمور، وأن ينظر في عواقبها، وألا يؤثر اللذة الحاضرة الفانية على اللذة الآجلة الباقية.

ولأهمية هذه القاعدة التى أشار إليها الإمام السعدي فى ثنايا كلامه، ولارتباطها بكثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ولعظم أثرها في حياة الفرد والمجتمع، وكثرة شواهدها في القرآن الكريم، فقد عزمت أن أكتب حول هذه القاعدة من خلال نماذج تطبيقية من القرآن الكريم مذكرة بأهميتها، داعية إلى إحياء العمل بهذه القاعدة على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات لننعم جميعا بظلالها الوارفة، ونحيا في رحاب المحبة والإيثار والرحمة والأخوة الصادقة، وجعلت عنوان البحث:

قاعدة: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه – نماذج تطبيقية من القرآن الكريم**".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- فيما سبق إشارة إلى شيء مما يدل على أهمية الموضوع، وما داعني للكتابة حوله.

- أضف إلى ذلك ارتباط هذا الموضوع بالقرآن الكريم، وهو خير ما يشتغل الباحث فيه، وقد قيل: **شرف العلم بشرف موضوعه،** فلا أشرف من مدارسة القرآن الكريم واستخراج بعض ما فيه من الهدايات والتوجيهات.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي (ص٢١٠، ٢١١).
(٣)تفسير السعدي (ص٨٦٨).

- وسبب ثالث دعاني للكتابة حوله وهو ما نراه في حياة الكثير من الناس من القسوة والأنانية وحب الذات، بل حب الانتقام والتشفي، وغلبة الهوى والشح والحرص، وما ذلك إلا من جراء الغفلة عن هذه القاعدة وآثارها وبركاتها، فلعل في ذلك تذكيرا لنفسي ولمن يطلع عليه فينتفع به.

الدراسات السابقة:

لقد كانت هذه القاعدة: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**" موضع اهتمام كثير من الكتاب، وكلٌّ يتناولها من ناحية اهتمامه، وقد وقفت على عدد من الدراسات حولها منها:

كتاب: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**- قصص واقعية للأنبياء والرسل والصحابة والتابعين للمتقدمين والمتأخرين" للمؤلف: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، الرياض١٨/ ٩/ ١٤١١هـ.

مقال: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**"، لمحمد بن إبراهيم الحمد، التصنيف: العقيدة الإسلامية. ١٤٢٦/٣/١٣هـ، -http: //ar. islamway. net/article/1253.

مقال: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**"، د. أمين بن عبد الله الشقاوي، ٢٠١٠/٠٥/٢٦م، المصدر: كتاب "**الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة" الكلمة الثامنة**".

مقال: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**"، منتدى إسلام ويب، ٢٠١٣/٢/١٧م، http: //akhbarona. com/religion/36135. html#ixzz2QRzTNQEu

وكذلك هناك عدد من الكلمات اليسيرة في ملتقى أهل الحديث، بعنوان: "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**" http: //www. ahlalhdeeth. com/vb/showthread. php?t=943.

ولكني أحببت أن أؤكد على النماذج القرآنية الواردة في تطبيقات هذه القاعدة خاصة ودراستها وتحليلها بما يوضح هذه القاعدة ويرسخها، وهو ما لم يتم الوقوف عليه من قبل الباحثة.

منهج البحث، وعمل الباحثة:

سرت في هذا البحث على الطريقة الآتية:

- استخدمت المنهج الاستقرائي لجمع مادة البحث العلمية، ثم المنهج التحليلي في تحليل هذه المادة وصياغتها، ووضعها في سياقها المناسب للبحث.

- كتبت الآيات مضبوطة بالشكل، وعزوت الآيات إلى سورها في صلب البحث.

- خرجت الأحاديث من مظانها تخريجا مختصرا، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، لتلقي الأمة لهما بالقبول، وما كان في غيرها ذكرت حكمه من

خلال كلام أهل العلم بالحديث.

- رجعت إلى كلام أهل العلم في كتب تفسير الآيات والتعليق عليها، وكتب شروح الحديث للعليق على الحديث وما تضمنه من الفوائد مما له تعلق بموضوع البحث، وغيرها من المراجع بما يتناسب وحجم البحث وغايته.

- وثقت الأقوال من مصادرها التي رجعت إليها.

- استوفيت بيانات المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع، وفي ثنايا البحث أكتفي بذكر الكتاب والمؤلف، ورقم الصفحة والجزء.

- لم أترجم للأعلام –وهم قليل- طلبا للاختصار بما يتناسب مع حجم البحث.

- **قسمت البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة،** كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث ومنهج الباحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: أدلة القاعدة وشواهدها من القرآن والسنة.

المبحث الثاني: نماذج قرآنية لتطبيقات القاعدة.

المبحث الثالث: الأسباب المعينة على تمثل هذه القاعدة والعمل بمقتضاها.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على العمل بهذه القاعدة على الفرد والمجتمع.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

هذا وفي الأخير، ولا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى الذي يسر إنجاز هذا البحث، وأشكر كل كان له دور في ترتيب البحث أو مراجعته أو تقويمه أو تقييمه أو نشره، فهلم مني كل الشكر والعرفان، وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه وناشره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

أدلة القاعدة وشواهدها من القرآن والسنة

جاء لفظ هذه القاعدة في حديث رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لله عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْه**".

وهذا الحديث بهذا اللفظ لم يثبت عن النبي ﷺ، ولم أجده في ما تيسر لي الاطلاع عليه من كتب السنة، وإن كان مشهورًا عند كثير من الناس.

لكن قد ثبت الحديث بلفظ مقارب له وهو: "**إنك لن تدع شيئا لله عز و جل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه**".

أخرجه أحمد عن أبي قتادة وأبي الدهماء- وكانا يكثران السفر نحو هذا البيت- قالا: أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله تبارك وتعالى، وقال: "**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله جل وعز ألا أعطاك الله خيرا منه**"(٤).

وقد بين في رواية أخرى أن القائل: كانا يكثران السفر... هو عفان أحد رجال الإسناد، وفي تلك الرواية بيان أنهما كانا يكثران السفر للحج. ينظر: مسند أحمد بن حنبل(٥)، وعند البيهقي من حديث حميد بن هلال **عن رجل من قومه عن الأعرابي** قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا رسول الله، علمني... فذكر الحديث قال: وكان في آخر ما حفظت أن قال: "**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله إلا أبدلك الله به ما هو خير منه**"(٦)، وهذا سند في **رجل مبهم**، ولكن يشهد له ما سبق.

قلت: وأما جهالة الأعرابي -أو البدوي -كما في الرواية الأخرى- فلا تضر لأنه من الصحابة كما هو ظاهر، والصحابة كلهم عدول كما هو مقرر عند علماء الحديث(٧).

وقد قال الهيثمي: رواه أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح(٨)، والحديث صححه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند، وصححه الألباني(٩).

وقد ورد الحديث بلفظ آخر وهو :"**ما ترك عبد لله أمرا لا يتركه إلا لله إلا عوضه الله منه ما هو خير له منه في دينه ودنياه**"

أخرجه أبو نعيم بسند فيه ضعف: عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:...

---

(٤) مسند أحمد (٧٨/٥) رقم(٢٠٧٥٨).
(٥) مسند أحمد (٧٩/٥) رقم(٢٠٧٦٥)، (٣٦٣/٥) رقم(٢٣١٢٤).
(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٣٣٥/٥) رقم(١١١٣٦).
(٧) ينظر: تدريب الراوي تدريب الراوي للسيوطي (٢١٤/٢)
(٨) مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠).
(٩) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦١/١) تحت حديث رقم(٥).

فذكره، وقال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث الزهري لم نكتبه إلا من هذا الوجه(١٠).

وأخرجه ابن عساكر(١١)، وقد حكم عليه الألباني بهذا اللفظ بالوضع كما في ضعيف الجامع(١٢)، وفي السلسة الضعيفة، وقال: وقد صح الحديث بدون قوله في آخره: "**في دينه ودنياه**" وهو بلفظ: "**إنك لن تدع شيئا لله عز و جل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه**". وسنده صحيح(١٣).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده إلى سفيان ابن عيينة قال: قوموا بنا إلى عبد الله بن مرزوق فإنه ثقيل لنعوده، فقاموا حتى دخلوا على عبد الله فوجدوه في بيت ليس بينه وبين الحصى شيء، وعلى عورته خرقة تكاد تستره، ورأسه على دكان، وهو مسجد البيت، فقال له سفيان: "**يا أبا محمد، بلغني أنه ليس أحد يدع من الدنيا شيئا إلا عوضه الله خيرا من ذلك، وقد تركت أشياء من الدنيا، فما عوضك الله منها؟ قال: الرضا بما ترون**(١٤).

وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "**من قدر على طمع من طمع الدنيا فأداه ولو شاء لم يؤده زوجه الله عز و جل من الحور العين حيث شاء**"(١٥).

وقد وردت بعض الآثار عن الصحابة ومن بعدهم مما يؤيد هذه القاعدة ويوافقها، ومنها:

عن أبي بن كعب ﷺ قال: "**ما ترك عبد شيئا لا يتركه إلا لله إلا آتاه الله بما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون عبد به فأخذه من حيث لا ينبغي له إلا آتاه الله بما هو اشد منه من حيث لا يحتسب**"(١٦).

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا قال: "**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنك لن تجد فقد شيء تركته لله عز و جل**"(١٧).

والخلاصة أن الحديث قد صح بلفظ: "**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله جل وعز ألا أعطاك الله خيرا منه**".

وهذه قاعدة عظيمة تشحذ الهمم وتحث على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وعلى

(١٠) حلية الأولياء (١٩٦/٢).
(١١) تاريخ مدينة دمشق (١٥٣/٥٢)، (٣٧٤/١٠).
(١٢) ضعيف الجامع رقم(٥٠٤١).
(١٣) السلسة الضعيفة حديث رقم(٥).
(١٤) شعب الإيمان (٥٣/٥) رقم(٥٧٤٩).
(١٥) المعجم الكبير (٢٣٨/٨) رقم(٧٩٢٧).
(١٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع (ص٥٥).
(١٧) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٢٠/٢)، وضعفه، وقال الخليلي: والصواب وقفه على ابن عمر.

البذل في سبيل الله طلبا لثوابه مع اليقين بأن ما يبذله العبد في هذه الدنيا سيعطيه الله خيرا منه ولا شك.

ثم إن الحديث الوارد فيها العظيم **قد اشتمل على ثلاث جُمَل**:

الأولى قوله: "**لن تدع شيئًا**"، وهذا لفظ عام يشمل كل شيء يتركه الإنسان؛ ابتغاءَ وجه الله تعالى.

الثانية: قوله: "**لله عزَّ وجلَّ**"، هذه الجملة بَيَّن فيها النبي ﷺ أن الترك لابد أن يكون ابتغاءَ مرضاة الله لا خوفًا من سُلْطان، أو حَيَاء من إنسان، أو عدم القدرة على التمكن منه، أو غير ذلك.

الثالثة: قوله ﷺ: "**أبدله الله خيرًا منه**"، وهذه الجملة فيها بيانٌ للجزاء الذي يناله من قام بذلك الشرط، وهو تعويض الله للتارك خيرًا وأفضل مما ترك، والعوض من الله قد يكون من جنس المتروك، أو من غير جنسه، ومنه الأنس بالله عز وجل ومحبته، وطُمأنينة القلب وانشراح الصدر، ويكون في الدنيا والآخرة؛ كما عَلَّم اللهُ المؤمِنَ أن يدعو: "**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**" [البقرة:٢٠١].

وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: " **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**" [الإسراء:٣٥]: أي خير ثوابا وعاقبة... وقال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "**لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه، ليس به إلا مخافة الله، إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك**" (١٨).

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف**"(١٩).

ومما يشهد لهذه القاعدة قوله تعالى: "**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**" [النازعات:٤٠،٤١].

وعن ابن عباس ومقاتل أنه الرجل يهم بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب بين يدي ربه

(١٨) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٤٦/١٧)، وهو مرسل.

(١٩) صحيح البخاري (٢٧٢٤/٦) رقم(٧٠٦٢٠) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "**يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ**" [الفتح:١٥]. صحيح مسلم - (ج ١ / ص ٨٢) رقم(٣٥١) كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ولفظه: "**قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها**"، وفي رواية: "**قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة -وهو أبصر به- فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة؛ إنما تركها من جراي**".

سبحانه فيخاف فيتركها، فله جنتان[٢٠].

فالعبد المؤمن بتغلّبه على شهواته، وتركه حظوظ نفسه الأمّارة بالسوء لأجل مرضاة الله عز وجل يمتنع عمّا تهواه نفسه ممّا حرّمه الله، بل ويترك من الحلال ما جاء به أمرٌ تعبّدي، كحال الصائم في رمضان فلن يخيّب رجاءه، ونِعْمَ ما رجا وأمّل لمّا ترك وامتنع؛ فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فسيجازي الله عبده بما هو أنفع وأفضل.

ومما يوضح معنى هذه القاعدة ويقويه قوله تعالى: "**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**"، فمن بذل من ماله يريد بذلك وجه الله تعالى، فسيطرح الله له البركة في ماله، ويزيد له فيه، وقوله: "**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ**" يشمل النفقة الواجبة والمستحبة، وسواء على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، "**فَهُوَ يُخْلِفُهُ**" فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر "**وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**" فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها[٢١].

ويؤكّد هذا حديث النبي ﷺ إذ يقول: "**ما نقُصتْ صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزّاً، وما تواضَع أحدٌ للهِ إلَّا رفَعه اللهُ**"[٢٢].

ومن ترك الانتقام لنفسه، ومنعها عن التشفّي مع قدرته على ذلك، وكظم غيظه وهو قادرٌ على إنفاذه إلا عوّضه الله انشراحاً في صدره، وفرحاً يغمر قلبه؛ فالعفو يعقبه طمأنينةٌ وسكينةٌ وحلاوةٌ يجدها العبد في نفسه، ففي الحديث عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: "**وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزّاً**"، هذا فضلاً عمّا ينتظره من الكرامة والمثوبة عند لقاء الله -عزّ وجلّ- يوم القيامة كما جاء في الحديث الشريف: "**مَن كَظَمَ غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنْفِذَه، دعاه اللهُ -عزَّ وجلَّ- على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرُه اللهُ مِن الحُورِ ما شاءَ**"[٢٣].

ومن ترك التكبّر على النّاس، وامتنع عن التعالي، وتخلّق بالتواضع يبتغي بذلك مرضاة الله ومثوبته، كانَ له من الرفعة والمحبّة بين الخلق، وعلو المكانة نصيباً مفروضاً، حيث يقول النبي ﷺ: "**وما تواضَع أحدٌ للهِ إلَّا رفَعه اللهُ**"[٢٤].

وقد جاء فى الحديث عن فضل من ترك التباهى باللباس ابتغاء مرضاة الله ما تتوق له الأنفس وتطيب به القلوب، يقول النبي ﷺ: "**من ترَكَ اللِّباسِ تواضعًا للهِ وَهوَ يقدرُ عليْهِ**

---

(٢٠) تفسير الألوسي (١٥٩/٢٢)، وانظر تفسير الطبري في تفسير سورة الرحمن أيضا (٥٦/٢٣).

(٢١) تفسير السعدي (ص٦٨١).

(٢٢) صحيح مسلم (٢١/٨) رقم(٦٧٥٧) كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢٣) سنن أبي داود (٣٩٤/٤) رقم(٤٧٧) باب من كظم غيظا، وسنن الترمذي (٣٧٢/٤) رقم(٢٠٢١) وقال/ حديث حسن غريب، وسنن ابن ماجه (١٤٠٠/٢) رقم(٤١٨٦) كلهم من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ، وحسنه الألباني.

(٢٤) سبق تخريجه قريبا.

دعاهُ اللهُ يومَ القيامةِ على رؤوسِ الخلائقِ حتَّى يخيِّرَهُ من أي حللِ الإيمانِ شاءَ يلبسُها"[٢٥].

ومعنى قوله: "**حلل الإيمان**" يعني ما يعطى أهل الإيمان من حلل الجنة.

المبحث الثاني

نماذج قرآنية لتطبيقات القاعدة

النماذج التي تشهد لهذه القاعدة وتوافقها كثيرة جدا في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، وفي حوادث الواقع، وسيقتصر البحث على ذكر نماذج من القرآن الكريم بما يتناسب وحجم البحث وغرضه.

قال الشيخ ابن سعدي: القاعدة التاسعة والستون: "**من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه**"... ثم قال: وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع كثيرة. ثم ذكر بعض النماذج باختصار[٢٦].

ومما يجدر التأكيد عليه أن هذا التبديل والتعويض قد يكون بشيء من جنس الشيء المتروك، وقد يكون من غير جنسه، ويكون أفضل للعبد مما ترك، قال ابن القيم رحمه الله: "وقولهم: "**من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه**" حق، والعوض أنواع مختلفة؛ وأجلّ ما يعوض به: الأنس بالله ومحبته، وطمأنينة القلب به، وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى"[٢٧].

هذا التعويض لا يلزم أن يكون بشيء محسوس من مال أو نحوه، بل قد يكون ذلك بأن يرزق الله تعالى عبده درجة عالية من الإيمان واليقين والرضى بما يقدره الله تعالى، كما قيل لبعض الزهاد وقد رئي في هيئة رثة: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، وأنت تركت الدنيا، فماذا عوضك الله! فقال: **الرضا بما أنا فيه**[٢٨].

وقد يكون هذا التعويض في الآخرة -وهو ظاهر- **فإن من ترك شيئا لله عز وجل أثابه الله**، وثواب الآخرة مهما قل فهو أعظم من الدنيا كلها مهما عظمت.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: **فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا : لا يساوي ذرة مما في الجنة**[٢٩].

وأهل اليقين والتقوى والبصيرة لا يأبهون بالعوض الذي ينالونه في الدنيا، بل كل

---

(٢٥) سنن الترمذي (٤/٦٥٠) رقم(٢٤٨١) من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ وقال حديث حسن، وحسنه الألباني.
(٢٦) القواعد الحسان (ص٢١١) عبد الرحمن السعدي، مع شرح ابن عثيمين.
(٢٧) الفوائد لابن القيم (ص١٠٧).
(٢٨) صفة الصفوة (٢/٣٩٧)، وتقدم في المبحث الأول تخريج أثر نحوه.
(٢٩) فتح الباري (٦/١٤).

همّهم ومنتهى آمالهم أن ينالوا العوض في الآخرة، بل إنهم إذا أدركوا من ذلك شيئا في الدنيا، فإنهم يداخلهم الخوف والوجل، يخشون أن يكونوا ممن عجلت لهم طيباتهم في الدنيا، **فقد جاء أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أتي يوما بطعامه فقال: قتل مصعب بن عمير وكان خيرا مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة -أو رجل آخر- خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة؛ لقد خشيت أن يكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي"**(٣٠).

وفي رواية: **"وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام"**(٣١).

يعني أنه يخشى أن أعطي حقه من الطيبات في الدنيا، فلم يبق له نصيب في لذائذ الآخرة، هذا مع كونه من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه، فنشكو إلى الله قسوة قلوبنا، وغفلتنا عن إصلاح أنفسنا.

فما دام العبد قد ترك شيئا مما نهاه الله عنه لا يتركه إلا لوجه الله عز وجل فالعوض له محقق، وهذا وعد من الله، ولن يخلف الله وعده.

وهذا الباب كله هو من الرزق، والرزق والعطاء سواء ابتداء أو جزاءً، معلق بمشيئة الله جل جلاله: **"مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا"** [الإسراء:١٨-٢٠]

وقال تعالى: **"وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"** [التوبة:٢٨].

قال السعدي في قوله: **"فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"** فليس الرزق مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين، وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: **"إِنْ شَاءَ"** تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقه الله بالمشيئة، فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب **"إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"** أي: علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها

---

(٣٠) صحيح البخاري (٤٢٨/١) رقم(١٢١٥) كتاب الجنائز، باب الكفن من جميع المال.
(٣١) صحيح البخاري (٤٢٨/١) رقم(١٢١٦) كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد ألا ثوب واحد، وفي كتاب المغازي، باب غزوة أحد (١٤٨٧/٤) رقم(٣٨١٩).

منازلها[٣٢].

فإذا كان الرزق، ابتداء أو جزاء، إنما هو بيد الله جل جلاله ، وبمشيئته العامة لخلقه، فليس من العقل ولا الحكمة في شيء أن يطلب ما في يد الله، بمخالفة أمر الله.

عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**نفث روح القدس في روعي: أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها؛ فأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله؛ فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته**"[٣٣].

لكن لا من التنبيه مرة أخرى أنه لا ينبغي أن ينحصر مفهوم الرزق في النواحي المادية أو المحسوسة، فالعوض من الله -عزّ وجلّ- أنواعه مختلفة ومظاهره متعدّدة، لكنّ أعظم وأجلّ ما يعوّض الله به عبده هو: **الأنس بالله ومحبته، وتحقيق طمأنينة قلبه، ومنحه القوة والنشاط في الطاعة والعون على ترك المعصية، فضلاً عمّا يلقاه من جزاءٍ في الحياة الدنيا مع ما ينتظره من الجزاء الأوفى في الآخرة.**

فمن تلك النماذج القرآنية:

النموذج الأول: إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام.

لما اعتزل قومه وأباه وما يدعون من دون الله، وهب له إسحاق ويعقوب والذرية الصالحين، قال تعالى: "**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا. وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**" [مريم/٤٨-٥١].

قال ابن جرير: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق.. ورزقنا جميعهم، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه، وأغناهم بفضله ... ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس[٣٤].

قال ابن كثير: فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله، أبدله الله من هو خير منهم، ووهب له إسحاق ويعقوب، يعني ابنه وابن إسحاق، كما قال في الآية الأخرى: "**وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً**" [الأنبياء:٧٢]، وقال: "وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" [هود:٧١][٣٥].

(٣٢) تفسير السعدي (ص٣٣٣).
(٣٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٦/٨)، وغيره، وصححه الألباني.
(٣٤) تفسير الطبري (٢٠٨/١٨).
(٣٥) تفسير ابن كثير (٢٣٦/٥).

قال السعدي: ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: "**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا**" من إسحاق ويعقوب "**جَعَلْنَا نَبِيًّا**" فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين، "وَوَهَبْنَا لَهُمْ" أي: لإبراهيم وابنيه "مِنْ رَحْمَتِنَا" وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون، "**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**" وهذا أيضا من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم(٣٦).

ومن النماذج الفريدة في ترك حظوظ النفس من أجل الله امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر ربه له أن يذبح ولده، فأسلم واستسلم لأمر الله وهم بذبح ولده، قال تعالى: "**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**" [الصافات:١٠٢-١١٣]، فكان العوض من الله تعالى عظيما مباركا:

وأول شيء أن الله **اتخذه خليلا**، وهذه مرتبة في المحبة عالية، كما قال الله تعالى: "**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**" [النساء:١٢٥]، لأنه هم بذبح محبة أقرب الناس طاعة لله تعالى وامتثالا لأمره.

فأن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلا، والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقا بربه ليس في شعبة لغيره، فلما سأله الولد وهبه إسماعيل فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق فامتحنه بذبح ولده، فلما أقدم على الامتثال خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحده، فنسخ الأمر بالذبح لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال(٣٧).

ومن العوض الذي حصل لإبراهيم عليه السلام أن فدى الله ولده إسماعيل عليه السلام

(٣٦) تفسير السعدي (ص٤٩٤).
(٣٧) إغاثة اللهفان (٢/٣٥٦).

بذبح عظيم، وصارت سنة متبعة وشعارا لأهل الإسلام، وليس هذا فحسب، بل بشره من بعده بإسحاق نبيا من الصالحين، كما قال تعالى: "**وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**" [الصافات:١١٢] هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من ورائه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبيا من الصالحين، فهي بشارات متعددة.

وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب كما قال تعالى: "**وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ**" [العنكبوت:٢٧]، فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي محمد ﷺ الذي من ذرية إسماعيل الذبيح وعليهم أجمعين: "**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ**" [الصافات:١١٣] أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق(٣٨).

النموذج الثاني: نبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام.

عُرِضَتْ عليه المغريات في أرقى صورها فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عز وجل؛ لأنَّ الله جعله من المخلصين، وأُوذِيَ بسبب ذلك؛ فاختار السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فملَّكه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطِي، ونعم المُعْطَى، ونعمت العَطِيَّة.

قال تعالى: "**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**" [يوسف:٢٣،٢٤] ويستمر السياق إلى قوله تعالى عن امرأة العزيز: "**... وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**" [يوسف/٣٢-٣٤].

ثم قال تعالى بعد كل تلك الأحداث والمواقف: "**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" [يوسف: ٥٦].

"**وَكَذَلِكَ**" أي: بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة "**مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ**" في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، "**نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ**" أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها وقدرها له، وليست مقصورة على نعمة الدنيا.

"**وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ولهذا قال: "**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ**" من أجر الدنيا "**لِلَّذِينَ آمَنُوا**

(٣٨) ينظر: تفسير السعدي (ص٧٠٥) و(ص٦٢٩).

وَكَانُوا يَتَّقُونَ" أي: لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات(٣٩).

ثم إن يوسف عليه السلام لم عفَّ عن الحرام، واستعصم عنه، واعتصم بالله، وتحمل السجن من أجل الله تعالى، عوضه الله تعالى وأكرمه ورفع ذكره، وبرأه مما رمي به كذبا وبهتانا، فشهد ببراءته كل من له تعلق بالحادثة:

يقول الشنقيطي: القرآن العظيم بين براءته عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيما لا ينبغي، حيث بين شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته، وشهادة الله له بذلك، واعتراف إبليس به.

أما الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود.

أما جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: "**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي...** الآية" [يوسف:٢٦].وقوله: "**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**" [يوسف:٣٣].

وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة: "**وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**" [يوسف:٣٢]، وقولها: "**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**" [يوسف:٥١].

وأما اعتراف زوج المرأة، ففي قوله: "**قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**" [يوسف:٢٨،٢٩].

وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: "**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**... الآية [يوسف:٢٦].

وأما شهادة الله جل وعلا ببراءته، ففي قوله: "**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**" [يوسف:٢٤].... إلى ان قال:

وأما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته، ففي قوله تعالى: "**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**" [:٨٢،٨٣]، فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ولا شك أن يوسف من المخلصين، كما صرح تعالى به في قوله: "**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**" [يوسف:٢٤]، فظهرت دلالة القرآن من جهات متعددة على براءته مما لا ينبغي(٤٠).

فخرج من السجن نقي الصفحة ليتبوأ منزلة رفيعة، ويكون متصرفا في خزائن مصر: "**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**" [يوسف:٧٦].

---

(٣٩) تفسير السعدي (ص٤٠٠).
(٤٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٦٧/٣، ٦٨.

وزاده الله رفعة عندما ترك مؤاخذة أخوته بما اقترفوه في حقه، وعفا عنهم، بل تغاضى عن ذلك، وغفر لهم، وقال: **"لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"** [يوسف:٩٢]، فسمح لهم سماحا تاما، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين(٤١).

وصدق من قال:

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرتبُ   ولا ينالُ العلا من طبعُه الغضبُ

ومما له تعلق بما حصل ليوسف عليه السلام، وأن من **غض بصره وحفظ فرجه** عن الحرام أبدله الله خيرا مما ترك، ما ذكره الله تعالى في سورة النور حيث أمر بغض البصر للرجال والنساء وقال أن ذلك خيرٌ وأزكى، قال تعالى: **"قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ [النور:٣١،٣٠].**

فقوله تعالى: "ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ" أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ(٤٢).

قال ابن كثير: **"ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ"** أي: أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم، كما قيل: **"مَنْ حفظ بصره، أورثه الله نورًا في بصيرته"**، ويروى: "في قلبه"، وقد قال الإمام أحمد: ... عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أوّل مَرّة ثم يَغُضّ بصره، إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها"**(٤٣).

ويستمر السياق إلى قوله تعالى: **"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [النور:٣٥].**

ولعل في ذلك إشارة -والله أعلم- إلى أن من غض بصره وحفظ فرجه عن الحرام، أبدله الله نوراً في قلبه، والله يهدي لنوره من يشاء.

---

(٤١) تفسير السعدي (ص٤٠٤).

(٤٢) تفسير السعدي (ص٥٦٦).

(٤٣) تفسير ابن كثير (٤٣/٦)، وقال: ورُوي هذا مرفوعًا عن ابن عمر، وحذيفة، وعائشة، رضي الله عنهم، ولكن في إسنادها ضعف، إلا أنها في الترغيب، ومثله يتسامح فيه.
والحديث المذكور أخرجه أحمد (٢٦٤/٥) رقم(٢٢٣٣٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا.

ولا شك أن إطلاق البصر في الحرام يزعج القلب ويشوش الفكر ويجلب الخواطر السيئة، ويقود إلى الزنا والعياذ بالله، وصدق من قال:

كل الحوادث مبدأها من النظـــر   ومعظم النار من مستصــغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها   فتك الســـــهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ساء خاطـــــره   لا مرحبا بسرور جاء بالضـــــرر

وصدق الله تعالى إذ قال: "**ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**" [النور: ٣٠].

لهذا يقال: إن لغض البصر عن الحرام فوائد جليلة القدر منها:

حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله، **ونور القلب والفراسة**، قال تعالى عن قوم لوط: "**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**" [الحجر: ٧٢]، فالتعلق بالحرام يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه.

النموذج الثالث: نبي الله سليمان عليه السلام.

في سورة (ص)، ما خلاصته: أن نبي الله سليمان كان محبًّا للجهاد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حبًّا شديدًا، فاشتغل بها يومًا حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن يصلي، فأمر بها فرُدَّتْ عليه، فضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف؛ إيثارًا لمحبة الله عز وجل، وقد كان ذلك جائزًا في شريعتهم.

فعوَّضه الله - عز وجل - خيرًا منها الريح التي تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شَهْرَيْن، وإليك الآيات فتدبر، وسخر له الجن والشياطين يعملون بأمره، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

قال تعالى: "**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ. وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ. فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب**" [ص: ٣٠-٣٦].

قال الحسن البصري رحمه الله: لما عقر سليمان الخيل غضبا لله، عز وجل عوضه الله ما هو خير منها وأسرع: الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر(٤٤).

قال العلامة السعدي: ...ولهذا لما عرضت عليه الخيل الجياد السبق "**الصافنات**" أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظر رائق، وجمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء وذكره.

(٤٤)تفسير ابن كثير (٧٣/٧).

فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديما لحب الله على حب غيره: "**إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ**"... أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموما، وفي هذا الموضع المراد الخيل "عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ"، "**رُدُّوهَا عَلَيَّ**"، فردوها "**فَطَفِقَ**" فيها "**مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ**" أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها.........فـ "**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**" فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه.

وقلنا له: "**هَذَا عَطَاؤُنَا**" فَقَرَّ به عينا "**فَامْنُنْ**" على من شئت، "**أَوْ أَمْسِكْ**" من شئت "بِغَيْرِ حِسَابٍ" أي: لا حرج عليك في ذلك ولا حساب، لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه، **ولا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم.**

ولهذا قال: "**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**" أي: هو من المقربين عند الله المكرمين بأنواع الكرامات لله... ثم بدأ يعدد الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام فكان مما قال:

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى........ إلى أن قال:

ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فَلْيُفَارِقْه ولْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.

ومنها: القاعدة المشهورة "**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه**" فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون(٤٥).

النموذج الرابع: مريم بنت عمران عليها السلام.

التي وصفها الله بأنها صديقة، وقال عنها: "**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ**" [التحريم:١٢] وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا وصفها أيضا بقوله: "**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**" [التحريم:١٢] أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها

(٤٥) تفسير السعدي (ص٧١٢).

رضي الله عنها صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل(٤٦).

وقد وصفها الله تعالى أيصان بالإحصان، وكمال العفة والنزاهة، قال تعالى: "**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**" [الأنبياء:٩١]

أي: واذكر مريم -عليها السلام- مثنيا عليها مبينا لقدرها، شاهرا لشرفها فقال: "**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**" أي: حفظته من الحرام وقربانه، بل ومن الحلال، فلم تتزوج لاشتغالها بالعبادة، واستغراق وقتها بالخدمة لربها.

وحين جاءها جبريل في صورة بشر سوي تام الخلق والحسن "**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**" [مريم:]، (وقالت: "**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**" [مريم:٢٠])، **فجازاها الله من جنس عملها**، ورزقها ولدا من غير أب، بل نفخ فيها جبريل عليه السلام، فحملت بإذن الله.

"**وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**" حيث حملت به، ووضعته من دون مسيس أحد، وحيث تكلم في المهد، وبرأها مما ظن بها المتهمون وأخبر عن نفسه في تلك الحالة، وأجرى الله على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم، فكانت وابنها آية للعالمين، يتحدث بها جيلا بعد جيل، ويعتبر بها المعتبرون(٤٧).

النموذج الخامس: أهل الكهف.

لما اعتزل أولئك الفتية قومهم وما يعبدون من دون الله، وفروا بدينهم، وهب لهم من رحمته، وهيأ لهم أسباب التوفيق والراحة، وجعلهم هداية للضالين.

فقد ذكر عنهم أنهم: "**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**" [الكهف:١٣]، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، كما قال: "**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**" أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: "ويزيد الله الذين اهتدوا هدى"، وأيضاً: ثبت قلوبهم، فقال: "**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**" [الكهف:١٤] أي صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة.

وقد جمع هؤلاء الفتية بين صدق اللجوء إلى الله في صلاح أمرهم، والتبري من حولهم وقتهم، وترْك الاعتماد على أنفسهم، ودعوا الله تعالى بقولهم: "**رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**" [الكهف:١٠]، فلا جرم أن الله عوضهم خيرا، ونشر لهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ما هو من رحمته بهم، ويسر لهم كل سبب، حتى المحل الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يمكن من الصيانة، فحفظهم الله من الشمس فيسر

(٤٦)تفسير السعدي (ص٨٧٤).
(٤٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٥٣٠).

لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه يمينا، وعند غروبها تميل عنه شمالا فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، **"وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ"** [الكهف:١٧] أي: من الكهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصا مع طول المكث، وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم وهدايتهم حتى في هذه الأمور.

ومن ذلك أن الله جعلهم آية للناس، ورفع ذكرهم إلى يوم القيامة، فالناس قدر رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان، على أن وعد الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا بعد، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم، فمن مثبت للوعد والجزاء، ومن نافٍ لذلك، فجعل قصتهم زيادة بصيرة ويقين للمؤمنين، وحجة على الجاحدين، وصار لهم أجر هذه القضية، وشهر الله أمرهم، ورفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم.

وفي هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب " **وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ"** [آل عمران:١٩٨](٤٨)، وأن من ترك شيئا لله تعالى عوضه الله خيرا منه.

النموذج السادس: النبي ﷺ وأصحابه.

لما هاجروا تركوا ديارهم، وأموالهم لله تعالى، فعوَّضهم الله بأن جعلهم قادة الدنيا، وحُكَّام الأرض وفتح عليهم خزائن كِسْرَى وقيصر، ومَكَّنهم من رقاب الملوك والجبابرة، هذا مع ما يرجى لهم من نعيم الآخرة، فشكروا، ولم يكفروا، وتواضعوا ولم يتكبروا، وحكموا بالعدل بين الناس، قال تعالى: **"وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"** [النور:٥٥].

وقال تعالى: **"وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"** [النحل:٤١،٤٢]

فأخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان، رجاء ثواب الله وجزائه... فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: **"لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً"** قال ابن عباس والشعبي وقتادة: المدينة، وقيل: الرزق الطيب، قاله مجاهد.

(٤٨) تفسير السعدي (ص٤٧٣).

قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيرًا منها في الدنيا، **فإن من ترك شيئًا لله عوضه الله بما هو خير له منه**، وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد، وحكمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكاما، وكل منهم للمتقين إماما، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا، فقال: "**وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ**" أي: مما أعطيناهم في الدنيا...(٤٩)

وتأمل قصة أحد هؤلاءِ المهاجرين، وهو صُهَيْب الرومي ﷺ، كان صهيب الرومي ﷺ ممن شرح الله صدورهم للإسلام، وكان يعيش في مكة وبارك الله له في ماله، فلما أراد الهجرة تبعه نفر من قريش حتى إذا أدركوه قال لهم :والله لقد علمتم أني من أرماكم رجلا، ووالله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم من كنانتي رجلا منكم، أولا أدلكم على خير من ذلك؟ مالي بالمكان الفلاني خذوه وخلوا سبيلي، فرجعوا وهاجر هو إلى الله ورسوله، فلما رآه النبي ﷺ قال: **ربح البيع يا صهيب أبا يحيى**، وفيه نزل قول الله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**" [البقرة:٢٠٧](٥٠).

وفي رواية أخرى: عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ: "**أرأيت درا هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة، فإما أن تكون هَجَرا أو تكون يثرب**"، قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة و خرج معه أبو بكر ﷺ وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكيا، فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريدا ليردوني فقلت لهم: **هل لكم ان أعطيكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي و تفون لي؟** فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم: **احفروا تحت أسكفة الباب، فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين**، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قبل أن يتحول منها يعني قباء فلما رآني قال: "**يا أبا يحيى ربح البيع**" ثلاثا، فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام(٥١).

ففي صهيب وفي أمثاله أنزل الله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**" [البقرة:٢٠٧].

فهل هناك مقارنة بين ما تركه صهيب رضي الله عنه وبين ما عوضه الله عز وجل؟.!!

قال ابن كثير: قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النّهدي وعكرمة

(٤٩)تفسير ابن كثير (٥٧٣/٤).
(٥٠) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في زوائد مسند الحارث للهيثمي (٦٩٣/٢) رقم(٦٧٩)، وانظر: المستدرك على الصحيحين (٤٥٠/٣) رقم(٥٧٠٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.
(٥١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٥٢/٣) رقم(٥٧٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وجماعة: نزلت في صُهيب بن سنان الرومي، وذلك أنَّه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، منعه الناس أن يهاجر بماله، وإنْ أحب أن يتجرّد منه ويهاجر، فَعَل. فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرّة. فقالوا: رَبح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أنّ الله أنزل فيه هذه الآية، ويروى أن رسول الله ﷺ قال: "**ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب**"......

وقال ابن كثير: وأما الأكثرون فحمَلوا ذلك على أنها نزلت في كل مُجَاهد في سبيل الله، كما قال تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**" [التوبة:١١١] (٥٢).

وهكذا الشهداء في سبيل الله تعالى لما بذلوا أنفسهم لله تعالى، وتركوا ملذات الحياة الدنيا وشهواتها من أجل الله، لإعلاء كلمة الله، وطلبوا الموت لتبقى شريعة الله ودينه، ولتكون كلمة الله هي العليا، فلما طلبوا الموت وهبت لهم الحياة، وعوضهم الله تعالى بحياة أبدية ونعيم سرمدي، كما قال الله تعالى عنهم: "**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**" [البقرة:١٥٤]

..الجهاد في سبيله هو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه، ولكونه مؤديا للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون.

فالشهداء: "**أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**" .

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار، وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي ﷺ أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل

(٥٢) تفسير ابن كثير (٥٦٤،٥٦٥/١).

معلقة بالعرش(٥٣).

وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد: "**اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**".

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفسا فنفسا في سبيل الله، لم يكن عظيما في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة(٥٤).

قوله تعالى: "**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**" [آل عمران:١٦٩-١٧١]

وهذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: "**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا**" أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، "**بل**" قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم "**أحياء عند ربهم**" في دار كرامته، ولفظ: "**عند ربهم**" يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، "**يرزقون**" من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا "**فرحين بما آتاهم الله من فضله**" أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا "**يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**" أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، "**ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**" أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، "**يستبشرون بنعمة من الله وفضل**" أي: يهنيء بعضهم بعضا، بأعظم مهنأ به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، "**وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**" بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

وفي هذه الآيات **إثبات نعيم البرزخ**، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه

(٥٣) صحيح مسلم برقم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٥٤) تفسير السعدي (ص٧٥).

تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا(٥٥).

ولما ترك المؤمنون **موالاة الكفار** امتثالا لأمر الله وتصديقا بالله ورسوله ﷺ، عوضهم الله بأن كتب في قلوبهم الإيمان: أي أثبته وقرره فيهم، فهو لا يبرح ينير لهم طريق الهدى حتى ينتهوا إلى جوار ربهم، وأيدهم **بروح منه**: أي ببرهان ونور منه سبحانه وتعالى هذا في الدنيا.

هذا مع ما ينتظرهم في الآخرة من دخول الجنات وما يحصل لهم من النعيم المقيم الأبدي السرمدي، وقد أخبر الله أنه **رضي الله عنهم** بطاعتهم إياه، **ورضوا عنه** في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة دار المتقين، وصاروا هم حزب الله وجنده وأولياؤه، وأعلن تعالى عن فوزهم، ونجاحهم يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة، قال تعالى: **"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"** [المجادلة:٢٢].

والنماذج في القرآن كثيرة جدا، ونكتفي بما ذكر، لأن المقصود هو الاستشهاد للقاعدة وبيان آثارها وبركتها، وليس الحصر والاستقصاء، ففيما ذكر كفاية إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

الأسباب المعينة على تمثل هذه القاعدة والعمل بمقتضاها

ثمة أسباب كثيرة تعين على تمثل هذه القاعدة والعمل بها، وحمل النفس عليها، نذكر ببعضها، ونسأل الله التوفيق والسداد:

١ـ الإيمان القوي بالله واليوم الآخر:

ولا شك أن الإيمان الحق يفعل في نفوس أهل الأعاجيب، ويدعوهم إلى البذل والتضحية والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، فالإيمان يجعل المؤمن مستعداً للتضحية بنفسه وماله وكل ما يملك في سبيل الله، فلا يجبن، ولا يتخاذل، لأنه يؤمن بالميعاد وجنة الرحمن التي أعدت للمتقين، ويوقن بالعوض من الله تعالى، وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

والإيمان سبب لمزيد من الهدى والتوفيق والسداد في القول والعمل: قال تعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ"** [يونس:٩].

أي: الذين جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة،

(٥٥) تفسير السعدي (ص١٥٦).

المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة "**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**" أي: **بسبب ما معهم من الإيمان** يثيبهم الله أعظم الثواب، **وهو الهداية،** فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم[٥٦].

كما أن الإيمان الحق يهون على العبد المصائب لعلمه بأن ذلك من عند الله سبحانه، فلا تضعف نفسه بل يرضى ويسلم أمره للذي بيده سبحانه، ويقول كما علمنا النبي ﷺ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها**"، فيكون أمره كله له خير: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له".

قال تعالى: "**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**" [التغابن:١١]، وهو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيرضى ويسلم.

٢ - الثقة بوعد الله تعالى:

من معاني الثقة بالله وبوعد الله أن تُعلقَ قلبك بالله وحده في تحصيل ما ينفعك ودفع ما يضرك، أن تكون أوثقَ بما عند الله منك مما في يدك أو في يد غيرك.

ومتى حصلت هذه الثقة للعبد يبذل كل ما يمكنه، وكل ما يملكه انتظارا لما وعد الله به من الأجر والعوض، وما عند الله خير وأبقى.

فالثقة بالله هي التي جعلت إبراهيمَ الخليل عليه السلامُ يضرب أبلغ مثل للثقة والتسليم، ولما ألقي في النار، كان على ثقة عظيمة بالله، فكان قوله: "حسبي الله ونعم الوكيل"، كلمات قليلة، لكنها كاشفة مضيئة ليس وراءها إلا الفرج والتأييد، فكفاه الله شر ما أرادوا به من كيد، وحفظه من أن تصيبه النار بسوء.

والثقة بالله وبوعده هي التي جعلته عليه الصلاة والسلام يهم بذبح ولده طاعة لله تعالى، واستسلاما لأمره، فكان العوض من الله تعالى كبيرا مباركا، وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

والثقة بالله تعالى بوعده هي التي جعلت أم موسى عليه السلام تلقيه في اليم بما أوحى الله إليها وألهمها أنه سبحانه سيرجع إليها ولده، فما قوي يقينها قذفت ولدها وفلذة كبدها في اليمن، فأنجز الله وعده، ورد إليها ولدها وكانت ترضعه وتأخذ على ذلك أجراً، والناس من حولها لا يشعرون، ولكنه تدبير الله الذي بيده الأمر وإليه يرجع الأمر كله، قال تعالى:

(٥٦) تفسير السعدي (ص٣٥٨).

"وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" [القصص:٧]، فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا.

وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به وألقته في اليم، فساقه الله تعالى[٥٧]، وهيأ الله من الأسباب، ودبر بقدرته الأمور حتى أنجز لأم موسى ما وعد، وحمى موسى عليه السلام من القتل: **"فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"** [القصص:١٣] ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله، شأن آخر.

٣- **ومما يعين على تمثل هذه القاعدة التحلي بخلق الصبر والمصابرة:**

قال الله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"** [آل عمران:٢٠٠].

قال السعدي: ثم حض الله المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك:

لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك.

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها، والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به[٥٨]

فالصبر خير معينٍ للعبد في مسألة الترك ابتغاء مرضاة الله تعالى، **وهو أنواع:**

- **الصبر على التزام الطّاعات** والقيام بالواجبات: فالنفس مانعةٌ للعبد من الانقياد السريع لفعل الطاعة، لذا يحسن بالعبد أن يوطّن نفسه على خُلق الصبر في باب الطاعات وأداء الواجبات في مواضع ثلاثة:

(٥٧)تفسير السعدي (ص٦١٢).
(٥٨) تفسير السعدي (ص١٦٢).

الأوّل: قبل البدء بالطّاعة، وذلك بأنْ يستحضر الإخلاص لله تعالى وحده.

والثّاني: أثناء أداءه للطّاعة، إذ يحرص على أدائها على الوجه الذي أتى به الشرع.

والثّالث: بعد أداء الطاعة، بأن لا يُدخل لنفسه العُجب أو محبّة ثناء الخَلق.

- **الصبر عن ارتكاب المعاصي** وفعل المحرّمات: وذلك لأنّ العبد يحتاج لسلاح الصبر في مواجهة المغريات الكثيرة والمتنوعة التي تعرض له في مسيرة حياته، وذلك بأن يستذكر المسلم في هذا المقام مصير أولئك الذين انجرفوا وراء ملذّات الدنيا وحطامها الزائل.

- الصبر على متاعب الحياة ومشاقها، وعلى الأقدار المؤلمة من المرض والفقر والموت وغيرها من مصائب الدنيا، ونعم العاقبة لأهل الصبر: "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" [البقرة:١٥٥-١٥٧].

٤ - ويلحق بذلك مجاهدة النفس:

ولا سيما أن النفس أمارة بالسوء، والنفس مجبولة على الشح والحرص والطمع، وعلى حب التشفي والانتقام، وعلى حب العاجل: "**وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**" [الإسراء/١١]، وقد خلق الله عزّ وجلّ الخلق واقتضت حكمته أن يبتلي عباده بمُغرَيات الدنيا وملذّاتها وبالفتن والابتلاءات التي يواجهها العبد، ومن هنا كان العبد محتاجا في هذا الطريق إلى إيمانٍ عميق ومجاهدة مستمرة، وأن يكون على يقين بأن الله يعوّض عبده بما يفرح قلبه، وما يسعد نفسه، "**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**" [الحشر:٩]، "**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**" [العنكبوت:٦٩].

الاعتصام بالله: "وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [آل عمران:١٠١]، وعندما اعتصم يوسف بربه من كيد امرأة العزيز والنسوة عصمه الله ونجاه، كما قال الله تعالى عنه: "**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**" [يوسف:٣٤،٣٣]، وكانت امرأة العزيز قد قالت: "**وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**" [يوسف:٣٢]...

فالمرء بنفسه ضعيف، وهو بالله قوي، والتوفيق كله بيد الله تعالى، وهو المعين والهادي والناصر، وكما قال شعيب عليه السلام: "**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**" [هود:٨٨]، أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي، "**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**" أي: اعتمدت في أموري، ووثقت في كفايته، "**وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**" في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات، وفي هذا التقرب إليه بسائر أفعال الخيرات، وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه، والإنابة

إليه، كما قال تعالى: "**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**" [هود/١٢٣]، وقال: "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" [الفاتحة:٥][٥٩].

٥- التفكر بعواقب الأمور ومآلاتها وعدم قصر النظر على العاجل:

ويظهر ذلك في قيام كل فرد من أفراد المجتمع بواجبه فلا يهمله، ولا يفرط فيه، بل يقوم به على أتم وجه، وأحسن حال، ابتغاء وجه الله وثوابه.

قال الحسن البصري- رحمه الله: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[٦٠]، فالمؤمن يخاف من عقاب الله ويرجوا ثواب الله، والعاصي يعمل المعاصي وهو آمن من مكر الله لإمهاله له.

المبحث الرابع

الآثار المترتبة على العمل بهذه القاعدة على الفرد والمجتمع

لا شك أن العمل بهذه القاعدة له أثر كبير على الفرد والمجتمع، ويثمر ثمرات مباركة وعظيمة تجعل المجتمع يسعد وتسوده المحبة والإيثار والرضا والقناعة...

فهذه قاعدة ذهبية لو وضعها المسلم نصب عينيه لما وجد مشقة في ترك المألوفات من المعاصي إلا أول وهلة وفقط، ولأحس بالربح الدائم مهما بدا خاسراً.. يترك الحرام وهو أقرب الناس إليه ولكن يتركه لله فيعوضه الله خيراً منه.. يصير الألم لذة بها.. وفيها كل هذا فيها المخرج: قال الله تبارك وتعالى: "**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب**" [الطلاق:٢-٣] فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا اتقاه بترك أخذ ما لا يَحلّ له رزقه من حيث لا يحتسب ففتح له الأبواب المغلقة.. وأعطاه من حيث لا يتوقع.. ومنحه من حيث لا يعلم.

يبدله الله حلاوة يجدها في قلبه: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه**"[٦١]، فصاحب النظرة يسعى بنظرته هذه إلى اللذة والاستمتاع فيبدل الله تاركها حلاوة ولذة في قلبه لا يجدها سواه.. وسبحان الله الكريم الوهاب.

- **المعاملة من الله تعالى بالمثل**، فالجزاء من جنس العمل: قال رسول الله ﷺ: "**إن الملائكة لتلقت رُوح رجل كان قبلكم.. فقالوا له: هل عملت خيراً قط؟ قال لا.. قالوا: تذكر.. قال: لا، إلا أني كنت أداين الناس، فكنتُ آمر فتياني أن ينظروا الموسر،**

---

(٥٩) تفسير السعدي (ص٣٨٧).
(٦٠) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد (٤٠٠٢/٩).
(٦١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٣/١٠) رقم(١٠٣٦٢)، والحاكم في المستدرك (٣٤٩/٤) رقم(٧٨٧٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والحديث ضعفه الألباني في السلسة الضعيفة رقم(١٠٦٥).

ويتجاوزوا عن المعسر. قال الله سبحانه وتعالى: تجاوزوا عنه" متفق عليه.. فيسر الله عنه كما كان هو ييسر عن الناس.

وهكذا ...

وبالجملة فمن علم الله أن نيته ابتغاء وجهه، وأنه إنما ترك ما ترك أو فعل ما فعل من أجل الله فإنه الله يعوضه خيرا من ذلك، ويعطيه أجزل العطاء، وقد قيل: على قدر النوايا تكزن العطايا، قال الله تعالى: "**إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" [الأنفال: ٧٠].

وهذه نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جملتهم العباس عم رسول الله ﷺ، فلما طلب منه الفداء، ادّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى جبرا لخاطره ومن كان على مثل حاله: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ" ... وقد أنجز الله وعده للعباس وغيره، فحصل له - بعد ذلك - من المال شيء كثير، حتى إنه مرة لما قدم على النبي ﷺ مال كثير، أتاه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله[٦٢].

فمن ترك مسألة الناس وإراقة ماء الوجه أمامهم وعلق رجاءه بالله وحده دون سواه.. عوضه الله حرية قلبه، وعزة نفسه، والاستغناء عن الخلق.

ومن ترك الاعتراض على قدر الله فسلم لربه في جميع أمره.. وجد الرضا واليقين: "**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**" [التغابن: ١١].

ومن ترك الذهاب للعرافين والسحرة.. وعوضه الله الصبر والرضا، وصدق التوكل، وتحقق التوحيد، وحصل له الشفاء بإذن الله.

ومن ترك الخوف من غير الله.. وجد أمناً الله من كل شيء فصارت مخاوفه بردا وسلاما.

ومن ترك التكالب على الدنيا.. جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة.

ففي الحديث: عن زيد بن ثابت قال رسول الله ﷺ: "**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره . وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة**"[٦٣].

(٦٢) ينظر: تفسير الطبري تفسير الطبري (٧٣/١٤)، وتفسير ابن كثير (٩١/٤)، وتفسير السعدي (ص٣٢٧).
(٦٣) الحديث في سنن ابن ماجه (١٣٧٥/٢) رقم(٤١٠٥) كتاب الزهد باب الهم بالدنيا، وصححه البوصيري والألباني.

ومن ترك الكذب ولزم الصدق.. هداه الله بذلك إلى البر، وكان عند الله صديقا، ووجد الطمأنينة في صدره، فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **"دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة"**(٦٤).

ومن ترك المراء وإن كان محقا.. ضمن الله له بيتا في ربض الجنة وسلم من شر الخصومة وحافظ على صفاء قلبه، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"**(٦٥).

ومن ترك الغش وترك الربا.. وجد ثقة الناس به، وفتح الله له أبواب الخيرات والبركات، قال تعالى: **"وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ"** [الروم:٣٩].

ومن ترك الحرص والطمع والبخل والشح أحبه الله وأحبه الناس واقترب من الله والجنة، وسلم من الهم وضيق الصدر، وترقى في مراتب الفضيلة، فعن سهل بن سعد الساعدي قال أتى النبيَّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: **"ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك"**(٦٦).

ومن ترك الانتقام والتشفي مع قدرته على ذلك وجد انشراحا في الصدر، وفرحا في القلب، وتقدم دليل ذلك قريبا.

ومن ترك صحبة السوء التي يظن أن بها منتهى أنسه وسروره يسر الله له أصحابا أبرارا يجد عندهم المتعة والفائدة، وينال معهم خيري الدنيا والآخرة.

ومن ترك الغضب وحَلُمَ عن من أساء إليه، وكظم غيظه وجد عزة نفسه وكرامتها وقهر الشيطان، وأمن من نتائج الغضب السيئة.

ومن ترك سوء الظن بالناس وجد السلامة من تشوش القلب واشتغال الفكر.

ومن ترك حب الشهرة والظهور رفع الله له ذكره ونشر فضله، وكتب له القبول في الأرض.

وبالجملة فالمجتمع الذي يتحلى بالعمل بهذه القاعدة، ويترك التشفي والانتقام والتقصي، فإنه تسوده المحبة والألفة والتعاون وكل معاني الحب والاحترام والإخاء

---

(٦٤) سنن الترمذي (٦٦٨/٤) رقم(٢٥١٨) قال: وهذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.
(٦٥) سنن أبي داود (٤٠٠/٤) رقم(٤٨٠٢) وحسنه الألباني.
(٦٦) سنن ابن ماجه (١٣٧٣/٢) رقم(٤١٠٢) كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، وهو حديث حسن، حسنه غير واحد من أهل العلم.

والمودة... فيتحقق فيهم معنى قول الله تعالى: **"فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا"** [آل عمران:١٠٣].

فتتحقق للفرد والجماعة والمجتمع الحياة الطيبة في الدنيا مع ما ينتظرهم من النعيم المقيم في الآخرة، وهذه من أعظم الثمار إن لم تكن اعظمها، فترى العمل بهذه القاعدة المتمثل لها شاكرا لفضل ربه وعطائه، صابرا على قضائه وابتلائه، مؤمنا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فتراه دائما رضي القلب، مطمئن النفس، إن عمل فلله، إن ترك فلله، وإن أعطى فمن أجل الله، وإن منع فمن أجل الله، واثقا بأن ما عند الله خير وأبقى، وأعلى وأثمن من هذه الدنيا من زينة وبهجة ومتاع، التي عبر الله بها في قوله تعالى: **"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"** [النحل:٩٧]

فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح **"فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً"** وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب **"وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ"** أي في الآخرة **"أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"** من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة(٦٧).

(٦٧) تفسير السعدي (ص٤٤٨).

الخاتمة:

نسأل الله حسنها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله على آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

في ختام هذا البحث اليسير أحب أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، فمن ذلك:

- **أهمية هذه القاعدة وعظم أثر العمل بها** على الفرد نفسه حيث يجد برد اليقين والطمأنينة، ويذوق حلاوة الإيمان ولذته إذ كان فعله وتركه من أجل الله تعالى، وعلى المجتمع حيث تسوده المحبة والرحمة والتعاون، وتغيب عنه مظاهر الأنانية والحقد والانتقام والتشفي.

- أن هذه القاعدة لها ارتباط بكثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا كاسمه الرحمن، والكريم والعفو، واسمه الشاكر والشكور، واسمه الغني الكريم، واسمه الرؤوف الرحيم وغيرها.

- أن لهذه القاعدة شواهد كثير جدا في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، بحيث يزداد المرء عند المطالعة بأهمية بل بضرورة العمل بهذه القاعدة الربانية لينال بركاتها وآثارها.

- أن أعظم الناس امتثالا لهذه القاعدة وملازمة لها هم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وذلك لكمال معرفتهم بالله تعالى وثقتهم بوعده وتصديقهم بخبره.

- أن من أعظم الأسباب التي تعين على العمل بهذه القاعدة معرفة الله والإيمان به وباليوم الآخر، والثقة بموعود الله تعالى، ومما يعين على ذلك كثرة التدبر لآيات القرآن وما فيه من القصص والعبر التي تملأ القلب انشرحا والنفس طمأنينة.

- لو تصورنا أن أفراد المجتمع قد التزموا بالعمل بهذه القاعدة لتحقق لهم من الراحة والسعادة والهناء، بل من المحبة والألفة فيما بينهم ما يخطر لهم على بال، ولا يدور لهم في خيال، ولكن اقتضت حكمة الله أن يكون منهم الشاكر والكافر، والبر والفاجر... وفي ذلك ابتلاء من الله: **"لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ"** [الأنفال:٣٧].

وأخيرا: أوصي نفسي ومن يطلع على هذا البحث بملازمة التقوى والتزود منها، وأن نسعى جاهدين للعمل بمقتضى هذه القاعدة فنقهر أنفسنا رجاء العوض من الله تعالى الذي إذا أعطى أدهش، وهو الكريم الوهاب.

كما أوصي بمدارسة هذه القاعدة وتذكير الناس به من خلال خطب الجمعة والدروس والكلمات والمواعظ لإحياء العمل بها في أوساط المجتمع.

كما أوصي أن يكتب حول هذه القاعدة وتطبيقاتها من خلال نصوص السنة النبوية، والقصص الواقعية، إن كان قد كتب في هذا لكن التذكير به طيب ونافع إن شاء الله.

وأسال الله الكريم أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا علما، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، بإشراف: د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد- مكة، طبعة أولى ١٤٢٦هـ.

٣- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٥–١٩٧٥م.

٤- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة، الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، الطبعة: أولى،١٤١٣-١٩٩٢، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة.

٥- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- تاريخ دمشق لابن عساكر، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/أولى١٤٢١هـ -٢٠٠١م، تحقيق أبي عبد الله على عاشور الجنوبي .

٧- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

٨- تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢، السنة ٣٣ -١٤٢١هـ

٩- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١١- جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٥٦/١، دار الكتب العلمية- بيروت، ط / الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ط/أولى١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٥- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر– بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦- سنن أبي داود، دار الكتاب العربي- بيروت (بدون).

١٧- سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

١٨- السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤هـ.

١٩- شعب الإيمان للبيهقي، مكتبة الرشد- الرياض، الدار السلفية ببومباي الهند، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي.

٢٠- صحيح البخاري، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت ط/٣، ١٤٠٧– ١٩٨٧م.

٢١- صحيح مسلم، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت (بدون تاريخ).

٢٢- صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ – ١٩٧٩م.

٢٣- ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني، المكتب الإسلامي– بيروت ط/الثالثة١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ.

٢٥- الفوائد لابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣– ١٩٧٣م.

٢٦- القواعد الحسان عبد الرحمن السعدي، مع شرح ابن عثيمين، دار بن الجوزي – القاهرة، ط/ الثانية ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، دار الفكر، بيروت- ١٤١٢ هـ.

٢٨- المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت ط/الأولى١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٢٩- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأنأؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٠- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤- ١٩٨٣م.

٣١- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنة، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٣٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ بإشراف د: صالح بن عبد الله بن حميد.

٣٣- الورع، لابن أبي الدنيا، تحقيق : أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية- الكويت، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.